الحزب الوطني الديمقراطي.. تاريخ ومواقف

أسس الحزب عام ١٩٤٦ بشكل رسمي وجذوره تمتد الى ١٩٣٢ من خلال جماعة الاهالي

بغداد / طارق الجبوري

◇ الحزب كان على علم بتنظيم الضباط الاحرار.. وساعة تفجير ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨,

◇ الحزب اتبع طرقاً عدة في مواجهة انحرافات انقلاب شباط.. ورفض المشاركة بالمسؤولية بعد انقلاب ١٩٦٨,

◇ رفض كامل للاحتلال الامريكي.. والمشاركة في مجلس الحكم بمبدئية لتعزيز بناء العراق الجديد.. ودعم الحكومة الحالية.

شهدت الساحة العراقية وبعد الاحداث التي مرت بالعراق منذ ٢٠٠٣/٤/٩ ظهور العديد من الحركات والتيارات السياسية بعضها لها امتداداتها التاريخية في العراق و الآخر اسس في الخارج بفعل شخصيات سياسية ذات جذور نضالية عميقة بحب الوطن. ومن اجل تعريف القارئ بعدد من هذه الحركات تواصل (المدى) نشر مقتطفات من تاريخها ومنهجها واهدافها وبحيادية تامة.

في هذا الموضوع سنتعرف على احد الاحزاب التي كان لها دور في تاريخ العراق السياسي منذ عام ١٩٤٦ وهو التاريخ الرسمي لتأسيس الحزب الوطني الديمقراطي.

جماعة الاهالي امتداد تاريخي للحزب

ان تاريخ الحزب الديمقراطي لم يبدأ تأسيسه عام ١٩٤٦ وانما يمتد الى ابعد من ذلك، حيث بدأ منذ ظهور الحركة الوطنية في العراق الحديث التي بدأت خطواتها الاولى متخذة من الصحافة وسيلة لتنظيم الصفوف وايصال الافكار وتوضيحها للجماهير.

وحيث ان الحركة الوطنية كانت في حاجة الى مثقفين لهم القدرة على ايقاظ الوعي السياسي وتكوين بؤرة للمعارضة بوجه النظام السياسي في العهد الملكي. وفي هذا الظرف من عام ١٩٣٢ برزت جماعة الاهالي وكان ظهورها في السنة الاخيرة في الانتداب البريطاني على العراق. ومن هذا المنطلق بدأ العمل الوطني لجماعة الاهالي وكانت البداية الاولى لتكوين ونمو الفكر الوطني الديمقراطي من خلال صدور جريدة (الاهالي) وان الجماعة الذين اصدروها لتعبر عن آرائهم ليس الا (بعضاً متميزاً) ان صح التعبير من هؤلاء المثقفين، وعند ما قدر لهؤلاء الشباب المثقفين ان يلتقي بعضه بعضاً ليؤلف جماعة الاهالي اخذوا ينشرون افكارهم في صحيفة سموها الاهالي، وبرزت طلائع هؤلاء في كل من بغداد وبيروت. وكانت النواة الاولى لجماعة بغداد تتالف من المرحومين (حسين جميل وعبد القادر اسماعيل) وجماعة بيروت هم كل من (محمد حديد وعبد الفتاح ابراهيم وعلي حيدر سليمان) وكان هدفهم اصلاح احوال بلادهم على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والهدف الاسمى كان طرد الاستعمار البريطاني الذي كان مهيمناً على سياسة البلد وبعد ذلك انضم الى عضويتهم كل من (كامل الجادرجي الذي كان عضواً في الهيئة العليا لحزب الإخاء الوطني الذي كان يرأسه ياسين الهاشمي والزعيم الوطني جعفر ابو التمن الذي كان رئيساً للحزب الوطني العراقي، وقد نشطت هذه الجماعة بالاضافة الى نشاطها السياسي فقد اسست (جمعية السعي) لمكافحة (الامية) وفتحت لها فروع في جميع انحاء العراق وكذلك اسسوا جمعية سرية سموها (الشعبية) وقد نشرت آراؤهم على صفحات نشراتهم المختلفة، وكانت تتسم بموقف عقائدي متماسك، وبمستوى ادبي وصحفي رفيع خلال اكثر من ثلاثة عقود.

المرحلة التمهيدية لقيام الحزب

ان الحركة التقدمية وعلى راسها جماعة الاهالي وجدت لها بعض المتنفس بعد عهد الاضطهاد الفاشي الذي ساد خلال فترة الاربعينيات الا انها بقيت موضع الشك والريبة من قبل الطبقة الحاكمة، ولما كانت تلك الطبقة تشعر بالحاجة الى مكافحة الفاشية لانها ربطت مصيرها بمصير الحلفاء، لذا فقد سمح ببعض الحرية المحدودة للعناصر التقدمية التي كانت تقف موقف العداء للفاشية من الناحية المبدئية، غير ان هذه الحرية المحدودة التي اتيحت لهذه العناصر عملت على تقوية التقدمية في العراق، دليل في مقدمة تلك العوامل ما كان يشعر به الشعب من حاجة للاصلاح اكثر من أي وقت مضى، وما كان يعانيه من ويلات الحرب، وكانت الحركة التقدمية تقدم حلولاً مدروسة وعملية لمشاكل الشعب، وبالاخص ما قامت به جريدة (صوت الاهالي) في هذا الشأن حيث كان لها دور مهم في تكوين رأي عام تقدمي بشأن المطالب الشعبية الاصلاحية مما سبق ان بيناه.. اضافة الى ان الوعي الشعبي اخذ ينضج اكثر فأكثر بفعل الاحداث التي مر بها العراق، وبفعل تماس الشباب، ولا سيما الطلاب والعمال والذين زاد عددهم اضعاف ما كان قبل الحرب، مع واقع الحياة اليومية.

وفي هذه الفترة ظهرت دعوات كثيرة للتنظيم السياسي، منها ما قامت به جريدة صوت الاهالي، كما قامت بها جماعات اخرى التقدميين، ان هذه الدعوات لم تنضج بصورة كافية الا في عام ١٩٤٥ فقد جاء في خطاب العرش الذي القي في افتتاح البرلمان ان الحكومة تنوي تقديم لائحة لتعديل قانون الانتخاب وانها سوف تشجع تأليف الاحزاب السياسية، وقد نشرت جريدة صوت الاهالي مقالاً دعت الى ضرورة قيام الحياة الحزبية وفي مقال آخر كرس د (دور الاحزاب في الانتخابات).

تأسيس الحزب في ربيع ١٩٤٦

ومما لا شك فيه ان الجو السياسي لحياة ما بعد الحرب اضاف زخماً جديداً وكانت الاهالي في ذلك الحين تجمع اعداداً متزايدة من الشباب الوطني بين عاملين ومؤيدين لها. حتى تكون الحزب رسمياً في ربيع ١٩٤٦,

وفي هذه الفترة واصلت الجريدة التهيئة لتأليف الحزب وبث مبادئه ومن ابرز مقالاتها ما نشر في الحقل الاقتصادي مثل مقال (الصناعة الوطنية وحمايتها) بتاريخ ١٩٤٥/٧/٣ وقد طالبت الجريدة بقيام الدولة بالصناعات الاساسية وتشجيع التشبث الفردي. ثم نشرت الجريدة بعد ذلك باسبوع مقالاً بعنوان (مهمة الحكومة وكيف يجب ان تكون) وفي ذلك الوقت في ١٩٤٦/٢/٢٤ الف توفيق السويدي وزارته التي اجازت الاضراب والغت الاحكام العرفية.

تأليف الحزب

كان تأليف وزارة توفيق السويدي في ٢٣/شباط/ ١٩٤٦ ايذاناً ببدء عهد آخر في حياة العراق فقد كانت ثلاثة عوامل تلعب دورها:

الاول: اشخاص بعض الوزراء ممن عرفوا بأنهم راغبون في إنهاء الاحوال الاستثنائية وممن عرفوا بدورهم في الحركة الوطنية من امثال سعد صالح وعبد الوهاب محمود وعبد الهادي الظاهر.

العامل الثاني: شعور الطبقة الحاكمة-والانكليز من ورائها- بضرورة تعديل الاوضاع بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

العامل الثالث: نضوج الوعي السياسي ورأي عام في البلد التف حول المناداة بالاصلاح وفي خضم هذا الرأي العام كان بعض الاحزاب متبلورة وحاضرة للظهور عند اجازتها رسمياً.

طلب الاجازة تحت مباحثات كثيرة بين اعضاء الهيئة المؤسسة بشأن منهج الحزب حتى وضع في صيغته النهائية وتقدم كل من (كامل الجادرجي ومحمد حديد وعبد الكريم الازري ويوسف الحاج الياس وحسين جميل وعبد الوهاب مرجان وعبود الشالجي وصادق كمونة) بطلب تأسيس الحزب في ٥/ ٣/ ١٩٤٦ وبدأت صوت الاهالي بنشر عدد كبير من اسماء مؤيدي الحزب. وقد وافقت وزارة الداخلية على تاسيس الحزب بموجب كتابها المرقم ٤٥٩٠ والمؤرخ في ١٩٤٦/٤/٢ ,

منهاج الحزب

غاية الحزب هي (القيام بإصلاح عام) في تصميم علمي منسق.

اهداف الحزب:

١- استقلال العراق، ٢- تحقيق اتحاد البلاد العربية، ٣- تحرير الاقطار العربية المستعمرة، ٤- مقاومة تاسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، ٥- تعزيز العلاقات الودية مع الدول الاخرى.

النظام السياسي:

١- تحقيق حياة ديمقراطية نيابية برلمانية والدفاع عن الحريات العامة.

٢- اصلاح الجهاز الحكومي والجيش.

٣- استقلال القضاء.

٤- الدعوة الى وحدة العراق وعدم التمييز باي شكل من الاشكال بين العرب والاكراد وغيرهم من العناصر التي يتكون منها الشعب العراقي (ان الوطن العراقي ميدان للتعاون الحر على اساس المصلحة المشتركة بين العرب والاكراد وغيرهم من العناصر التي يتكون منها العراقيون يحترم كل منهم الآخر في جو تسود فيه الحرية والمساواة والعدل.

٥- الناحية الاقتصادية: يدعو الحزب الى زيادة الانتاج -الزراعي- تنظيماً وحسن توزيع الارض الاميرية على صغار الفلاحين وتحديد الملكية الكبيرة. ويدعو الحزب الى ملكية الدولة لمشاريع الخدمات العامة كالنقل ومشاريع استثمار المعادن والمشاريع الاخرى التي يعود احتكارها بالنفع العام. وكذلك انشاء مشاريع مختلفة وفيما عدا ذلك تقوم الدولة بتشجيع ومراقبة التشبث الفردي. وتناول منهج القضايا الاجتماعية والثقافية بالتفصيل، وبعد اجازة الحزب اعلن عن عقد اجتماع عام في ٢٦/نيسان/ ١٩٤٦ لانتخاب اول لجنة ادارية مركزية وقد انعقد الاجتماع في بناية مدرسة التفيض وكان عدد الحضور (٧٦٠ عضوا) وقد رشحت الهيئة المؤسسة اعضاء ليكونوا اللجنة الادارية المركزية - ما عدا يوسف الحاج الياس لاقامته خارج بغداد وكانوا: ١- كامل الجادرجي رئيساً،٢- عبد الكريم الازري نائب الرئيس، ٣- حسين جميل سكرتيراً، ٤- عبود الشالجيي حماسيا- وتألف مكتب الرئاسة من كامل الجادرجي ومحمد حديد وحسين جميل.

قضية فلسطين

وبعد ان تم الاجتماع الاول للحزب واجهته قضية فلسطين:

في الاول من آيار ١٩٤٦ اصدرت لجنة التحقيق الانكلو- امريكية بشأن فلسطين تقريرها الذي تضمن انحيازاً كبيراً لليهود. وقد اثار هذا التقرير ضجة كبيرة في البلاد العربية، ومنها العراق، وقد سارع الحزب الى اصدار بيان نشر في ١٩٤٦/٥/٢ وكان اول بيان يصدره طالب فيه الحكومة بالتعاون مع الحكومات العربية لشجب التقرير وطالب فيه بمقاطعة بريطانيا وامريكا اذا ما قبلت حكوماتهما التقرير المذكور ودعا الشعب العراقي والشعوب العربية الى اليقظة والدفاع عن حرية فلسطين واستقلالها.

الاصطدام مع نظام الحكم

على الرغم من ان وزارة توفيق السويدي قد عهد اليها دور (الاصلاح) لفترة ما بعد الحرب الا ان الحزب قابل تلك الوزارة بحذر وبذلك اصدر الحزب مقالاً بقلم محمد حديد اشار فيه الى كيفية تكوين الوزارة من عناصر غير متجانسة، وكذلك كتبت صوت الاهالي مقالاً بعنوان رئيس الوزراء يميط اللثام عن ميوله الحقيقية ويقضي على منهاج وزارته، وقد نشر في ١٩٤٦/٤/١٦,

وزارة ارشد العمري

قابلها الحزب بمثل ما قوبلت به وزارة السويدي حيث نشرت صوت الاهالي مقالاً بقلم محمد حديد في (٢/حزيران) بعنوان (التبدل الوزاري في وسط الاوضاع الشاذة) اندر فيه بمقاومة شعبية للوزارة اذا ما اخلت بواجباتها. وفي هذه الفترة جاء حادث كاوور ياغي، حيث ان عمال شركة النفط في كركوك قد اضربوا بتاريخ ٧/٣/ ١٩٤٦ مطالبين شركة النفط بزيادة اجورهم وثانياً تهيئة دور سكن وثالثاً تخصيص وسائط نقل وغيرها من المطالب ولكن الحكومة قابلتها بالقوة حيث اطلقت الشرطة عليهم النار. وفي اثر ذلك نشرت صوت الاهالي في عددها المؤرخ ٢٢/ تموز تفاصيل الحادث واحتج الحزب، بمقال ان الحزب في الوقت الذي يحتج فيه على هذه الاعمال يود ان ينبه الشعب الى الخطر الذي يهدد حقوقه الاساسية وحرياته الديمقراطية في هذه الايام.

معاهدة بورتسموث والوثبة وموقف الحزب

١- المعاهدة العراقية البريطانية

منذ بداية تأسيس الحكومة العراقية وانتهاء الاحتلال البريطاني المباشر للعراق عام ١٩٢١ وحتى عام ١٩٥٨ كان موضوع العلاقات البريطانية العراقية موضوعاً رئيسياً في حياة العراقيين وخلال هذه الاعوام الـ (٣٧) كان الصراع قائماً بشكل او بآخر وبصورة مستمرة بين ارادة البريطانيين في ربط العراق بعجلتهم وبين ارادة الشعب العراقي في الحصول على الاستقلال في حياته وسياسته الخارجية. ولا نعتقد ان البريطانيين كانوا يدركون يوماً ما ان الشعب العراقي يستطيع ان يقطع الرابطة السياسية قطعاً تاماً، وكان نفس الاعتقاد نفسه موجوداً حتى لدى رجال الحكم العراقيين ممن يمكن ان يوصفوا - مع بعض التحفظ- بالوطنية وكره الاستعمار، اما الجهات الوطنية الحقيقية فقد كانت تؤمن بالاستقلال التام وامكان تحقيقه ولكنها كانت تعتقد بصعوبة الامر البالغ، ولذلك فقد كان نضالها ينصب في معظم الاحيان في مجرى مقاومة المعاهدات التي يعقدها الاستعمار البريطاني مع عملائه العراقيين الحاكمين، وكان اثر هذا النضال ان عرقل عقد تلك المعاهدات اكثر من مرة. وقد استطاع البريطانيون باسلوب تزييف الانتخابات وارهاب الجهات الوطنية ومطاردتها من عقد معاهدة ١٩٣٠ التي اعتبرت اكثر ثباتاً من سابقاتها، وبموجبها حصل العراق على استقلاله الناقص وانهي الانتداب ودخل العراق عصبة الامم. وعندما مرت بضعة عشر سنة واقتراب موعد انتهاء المعاهدة التي كان البريطانيون يعتبرونها ضماناً اساسياً لبقاء نفوذهم في العراق وبقاء قواعدهم العسكرية فيه، بدأ البريطانيون يبحثون عن طريقة تمديد هذه المعاهدة او تبديلها بحيث يبقى جوهر قائماً.

وكانت الصعوبة هي امرار المعاهدة الجديدة بشكل شرعي وبرغم معارضة الشعب -وقد تبدل تكوين المجتمع العراقي وزادت قوة المنظمات الشعبية زيادة كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية.

وبالرغم من البريطانيين فشلوا في الجديدة بصورة رسمية في ميناء بورتسموث، وعلى اثر ذلك عرفت تلك المعاهدة تاريخياً بمعاهدة بورتسموث.

وعلى اثر نشر نصوص المعاهدة الجديدة في صحف بغداد يوم ١٦ كانون الثاني، اعلن طلاب المعاهد العالية الاضراب، وفي ١٨ كانون الثاني صدر بيان من الحزب الوطني الديمقراطي حول المعاهدة تضمن هجوماً شديداً عليها ويختتم هجومه بدعوة (الشعب العراقي الكريم الى احباط هذا المشروع الاستعماري الجديد ومقاومته بكل ما اوتي من قوة) كما نشرت بيانات من الاحزاب والجهات الطلابية، وتصريحات لنواب وسياسيين هاجمت المعاهدة الجديدة. كما خرجت مظاهرات في الايام التالية اظهرت تحدياً قوياً للحكومة القائمة، وكانت اخطر تلك المظاهرات مظاهرة طلاب كلية الحقوق -كلية الشريعة- يوم ٢٠ كانون الثاني سارت الى شارع الرشيد واجبرت الشرطة على الانسحاب حتى وصلت الى الجسر الثاني وكانت قوات مسلحة من الشرطة قد تجمعت هناك فأطلقت النيران على المتظاهرين وسقط قتلى وجرحى واعتقل عدد كبير من الناس وتحولت شوارع بغداد الى ساحة مطاردة للمارة من قبل قوات كبيرة من الشرطة المسلحة. وقد كانت حوادث ٢٠ كانون الثاني مثاراً للسخط ولاحتجاجات شديدة من الاحزاب والهيئات كما انبرت السلطات الى ومن ثم بشكل عكسي بتحديد الخلافات المبدئية بين التقدميين وبين الشيوعيين.

٢- استطاعت صوت الاهالي ان تشق لها طريقاً فكرياً متميزاً عن الطريق الفكري الشيوعي يعتمد على الديمقراطية كأساس وعلى الاشتراكية بقدر ما تعطي من حلول اقتصادية واجتماعية لمشاكل العراق.

في مجلس النواب وخارجه

بعدها اشتدت الرقابة على الصحف، لم تستطع صوت الاهالي ان تنشر الا محاضر جلسات مجلس النواب وخطب نائب الحزب محمد حديد وسكرتيره حسين جميل ولا سيما ما تعلق منها بنقد الحكومة، وفي تلك الاثناء كانت الكتلة الرجعية الحكومية، وهي اكثرية اعضاء المجلس قد بدأت بمهاجمة الجهات الوطنية والوثبة، وحدثت معارك كلامية شديدة وتهديدات داخل المجلس وفي هذا الجو بدأت كتلة المعارضة تتكون وتتجه اتجاهاً وطنياً وصل عام ١٩٥١ الى حد استقالة اكثر من ثلاثين نائباً كون بعضهم فيما بعد حزب الجبهة الشعبية الذي تعاون تعاوناً وثيقاً مع الحزب.

المؤتمر الثالث للحزب وتجميد نشاطه

لقد خلفت احداث السنين الماضية من جهة، واحداث ١٩٤٨ بصورة خاصة ومنها الاحكام العرفية ومطاردة اعضاء الحزب واغتيال

الحزب الوطني الديمقراطي : ايمان مطلق بارادة الشعب

امرار معاهدة صدقي- بيفن في مصر في ذلك الحين، الا انهم فكروا بالاسلوب نفسه في موضوع امرار المعاهدة المماثلة في العراق، فقام نوري السعيد بإجراء انتخابات ١٩٤٧ ليضمن مجيء صالح جبر للحكم، ومن ثم تكليفه بمهمة القمع والارهاب المطلوبة لامرار المعاهدة.

٢- اجتماع في القصر

كان المسرح قد اعد سلفاً، وبدأت المفاوضات في بريطانيا لعقد المعاهدة الجديدة عندما دعي السياسيون الى اجتماع في قصر الرحاب في ٢٨ كانون الاول ١٩٤٧، وكان المقصود بالسياسيين رجال الحكم التقليديين، وعلى اثر هذا الاجتماع اصدر الحزب بياناً بتاريخ ٣١ كانون الاول قال فيه: (اطلع الحزب الوطني الديمقراطي عن طريق الصحف المحلية والاذاعات الخارجية على عقد اجتماع في قصر الرحاب بدعوة من .. ولما كان الحزب لم يتسن له ابداء رايه في هذا الموضوع في الاجتماع المذكور لعدم دعوته اليه فإنه يرى من واجبه ان يبدي وجهة نظره في هذا الامر الخطير (تعديل المعاهدة). ان الحزب الوطني الديمقراطي مع اعتقاده بأن العلاقات القائمة بين العراق وبريطانيا لم تكن قد اقيمت على اساس احترام العراق كدولة حرة ومستقلة، وان من الواجب اقامتها بما يضمن استقلال العراق وصيانة سيادته واحترامه على اساس التعاقد بين الدول المتكافئة يرى في الوقت ذاته ان فتح باب المفاوضات بصورة شاذة مع بريطانيا والاستمرار بها من قبل وزارة غير منبثقة عن ارادة الشعب وغير مستندة الى مجلس نيابي يمثل الامة تمثيلا حقيقياً، عمل في غير صالح العراق).

وقد صاحب هذا الجو التمهيدي الذي صاغته الحكومة نشر تصريحات لفاضل الجمالي وزير الخارجية في لندن، اثارت استياء الرأي العام العراقي، مما حدى بطلاب الحقوق الى محاولة القيام بمظاهرة في ٦ كانون الثاني ١٩٤٨، فاتخذت السلطات اجراءات شديدة ضد الطلاب واغلقت كلية الحقوق. وقد وجه الحزب الوطني الديمقراطي في ٧ كانون الثاني كتاباً الى وزير الداخلية تضمن احتجاجاً شديداً حول اجراءات السلطة، وقد اجابت مديرية الدعاية العامة للحزب محاولة تبرير استخدام القوة ضد الطلاب وقد اجاب الحزب بكتاب ثان مؤرخ في ١١ كانون الثاني لتنفيذ حجج الحكومة، وفي نفس ذلك اليوم (١٩٤٨/١/١١) اصدرت الحكومة بياناً ذكرت فيه ان معاهدة ١٩٣٠ قد الغيت وان رئيس الوزراء صالح جبر قد وقع بالحروف الاولى المعاهدة الجديدة وفي ١٥ كانون الثاني اعلن عن توقيع المعاهدة اذاعة البيانات والتصريحات الحكومية وغلق الجرائد ومصادرتها. وفي نفس الوقت استمر الطلاب في تجمعاتهم في اليوم التالي واغلقت الاسواق، وعادت السلطة الى اطلاق النار مرة اخرة في ذلك اليوم ١٩٤٨/١/٢١ على المتظاهرين فسقط قتلى وجرحى آخرون، وبذلك امتد الاضطراب الى جهات اخرى كالاطباء والمحامين واساتذة الكليات والصحفيين وغيرهم. وقد قابلت الحكومة الامر بشدة وفتحت ابواب المواقف والسجون الا ان خطورة الوضع كانت واضحة بصورة خاصة للوصي على العرش فدعا بصورة مستعجلة الى عقد اجتماع للسياسيين في البلاط الملكي حضره ممثلو الاحزاب ايضا.

٣- اجتماع البلاط

يقول كامل الجادرجي في بضع اوراق مخطوطة في ذلك الوقت واصفاً اجتماع البلاط المذكور الذي عقد في الحادي والعشرين من كانون الثاني: (في الساعة الثالثة من بعد ظهر ٢١ كانون الثاني ١٩٤٨ اتصل بي السيد معاون رئيس التشريفات في البلاط الملكي وقال ان سمو الامير يطلب حضوركم حالاً الى البلاط وبعد برهة وجيزة ذهبت فوجدت الوزراء وبعض رجال السياسية ينتظرون في الغرف. وحوالي الساعة الرابعة دعينا لعقد اجتماع حضره الامير وكان الاجتماع مؤلفاً من الوزراء الموجودين في العرق وهم السادة جمال بابان وكيل رئيس الوزراء وتوفيق النائب وزير الداخلية ويوسف غنيمة وزير المالية وضياء جعفر وزير الاشغال العامة والمواصلات وجميل عبد الوهاب وزير الشؤون الاجتماعية.

يوم الوثبة

وصل صالح جبر يوم ٢٦/ كانون الثاني ١٩٤٨ عائداً من لندن وفي ذلك اليوم اذاع بياناً من دار الاذاعة اصر فيه على معاهدة بورتسموث واعقبه خروج الشرطة المسلحة الى الشوارع وفي اليوم التالي ١٩٤٨/١/٢٧ وقعت الاصطدامات الرئيسة مع المظاهرات الضخمة التي خرجت الى الشوارع ويقول سجل احداث الوثبة للحزب ان حسين جميل سكرتير الحزب كان مشتركاً اشتراكاً فعلياً في المظاهرات وكان السيد محمد حديد نائب رئيس الحزب يقوم بمهمة خاصة اودعت اليه مع هيئات شعبية اخرى لتلقي الاخبار وابداء رايه في بعض المواقف.

فلسفة الحزب-الحزب الوطني الديمقراطي والاشتراكية

مما لا شك فيه ان الامر تغير كثيراً بعد عام ١٩٤٦ عندما تكون الحزب، فقد كانت هناك حالة تمييز:

١- بتحديد فلسفة الشيوعيين بعضهم وسجن الآخرين وتخويف العدد الكبير من اعضاء الحزب من موظفين وطلاب وكسبه خلقت ضعفاً كمياً في عدد الاعضاء كما خلفت ضعفاً في نشاط الحزب ولا سيما جريدته صوت الاهالي التي كانت تحت رحمة الادارة العرفية والمراقبة القاسية التي كادت تشلها عن اداء واجبها السياسي وبعد ذلك تحدث رئيس الحزب عن الوضع السياسي ووضع الحزب وطرح اقتراح تجميد نشاط الحزب، فصوت الحاضرون بالأكثرية على قرار التجميدولكن الحكومة لم تتخذ أي اجراء بصدده سوى ان وزارة الداخلية ارسلت كتاباً رسمياً تتساءل فيه عما اذا كان تجميد الحزب يعني (حله) فأجاب رئيس الحزب: التجميد لا يعني الحل.

الغاء امتياز صوت الاهالي واصدار صدى الاهالي

كانت الادارة العرفية قد عطلت صوت الاهالي الى اجل غير مسمى ولذلك تقرر ان يقدم طلب باسم جديد (صدى الاهالي) وان يكون شخص آخر مديراً مسؤولاً للجريدة.

الموقف الدولي-الحياد

كان العالم عام ١٩٥١ منقسماً الى معسكرين كبيرين كل معسكر يحاول جذب الآخرين الى صفوفه وفي ذلك الحين كان الضغط موجهاً بعنف الى منطقة الشرق الاوسط لادخالها في المعسكر الغربي عن طريق حلف اقليمي يرتبط بدول الاستعمار.

وقد وقف الحزب الوطني الديمقراطي وجريدته ضد الاحلاف بشكل قاطع وكان يعارض ما يتصل بقليل او كثر بمشاريع الاستعمار. وبعدها(...) من السياسيين ويمثلون بصورة عامة المعارضة واصدروا بيان الحياد في ١٩/آذار/ ,١٩٥١ وخلاصة ما جاء فيه: اننا نهيب بالشعب العراقي ان يتكتل بجميع منظماته ويعمل لمنع زج البلاد في اتحاد المعسكرين المتخاصمين، وحراسة كيانهما بكل وسائل ممكنة، متضامناً مع الشعوب العربية وسائر الشعوب المحبة للسلام. واخيراً تبلور هذا الاتجاه الى فكرة الحياد الايجابي وشمل العالم الثالث بأسره.

قضية النفط

ان قضية النفط اخذت شكلها الجدي بعد احداث إيران وصدور قرار التأميم هناك في عهد مصدق في اوائل ايار ١٩٥١، وقد اثرت تأثيراً كبيراً في الاوساط الشعبية في العراق واظهرت حملة تطالب بتأميم النفط العراقي وقد نشرت جريدة صدى الاهالي عدة مقالات بتوقيع محمد حديد ومنها المقال المنشور في ١٥/ ايار عنوانه (المناصفة في النفط لا في ارباحه هي اقل ما يطلبه العراق حتى يتم التأميم).

الجبهة الوطنية عام ١٩٥٢

برزت قضية الاحلاف والاتحادات التي يريد الانكليز ادخال العراق فيها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وقد ظهرت فكرة الاتحاد مع الاردن والتحالف مع تركيا وحلف البحر المتوسط، مما دعا الحزب الى التعاون مع الاحزاب الوطنية منها الوطني الديمقراطي والجبهة الشعبية والاستقلال وانصار السلام الخ، واخذ هذا التعاون يزداد في خريف ١٩٥٢ وقد كانت اتفاقية النفط والدعوة الى الاضراب في ١٩/ شباط/ مجالاً للالتقاء وتقديم اقتراحات تتعلق بالعمل على مقاطعة الانتخابات وعقد الاجتماعات العامة وتنظيم الاضرابات واتخاذ أي موقف تقتضيه الاحوال الطارئة.

انتفاضة تشرين الثاني عام ١٩٥٢

ادت الاحداث السياسية الى تعئبة الراي العام وكان اضراب الطلاب والاعتداء عليهم الشرارة التي اشعلت الوضع في تشرين الثاني وكان التماسك بين القوى الوطنية قوياً وانضمت اعداد كبيرة من الجمهور للتظاهرات بحيث سيطرت على الشوارع وانهزمت الشرطة بعد ان اصلت المتظاهرين بالنار. وكان للحزب دور فعال في قيادة هذه المظاهرات ونتيجة لذلك استقالت الوزارة وعهدت الى الفريق نور الدين محمود مساء يوم ٢٣/ تشرين الثاني واعلنت الاحكام العرفية واصدرت امراً بإلغاء الاحزاب وسدت صحفها كما قامت سلطات الامن باعتقال قادة الاحزاب واعضائها البارزين حتى تجاوز عدد المعتقلين عدة آلاف.

الانتخابات النيابية في نيسان ١٩٥٤

حيث تألفت في ٢٩/ نيسان وزارة ارشد العمري واصدر الحزب بياناً في اليوم التالي في جريدة الحزب صوت الاهالي وكان مما جاء فيه (غير ان الرأي العام فوجئ بتأليف الوزارة برئاسة ارشد العمري الذي يزخر تاريخه وتاريخ اقطاب وزارته بالاعمال الاستفزازية ضد الشعب وحرياته، مما لا يمكن الاطمئنان اليها على الاطلاق او اعتبارها اهلاً لاجراء الانتخابات...الخ.

وكانت وزارة الداخلية قد اعلنت في ٥/٤ اجراء الانتخابات العامة يوم ٦/٩ وفي يوم من ٥/ نشرت الجريدة بيان الحزب حول الانتخابات وقد اعلن فيه الاشتراك واستعداده لفضح التزوير فيها وحدد المطالب الشعبية التي اصبحت فيما بعد اساساً لميثاق الجبهة الوطنية وقد فاز في هذه الانتخابات ١٤ نائباً من المعارضة. منهم ستة من الحزب الوطني الديمقراطي.

نوري السعيد يوجه ضرب للقوى الوطنية

كان آخر عدد من صوت الاهالي عام ٩٥٤ في ٢/ايلو وقد حمل بياناً للحزب في الاحتجاج على اصدار المراسيم الجديدة التي اصدرها نوري سعيد بحل مجلس النواب وحل الاحزاب وفي حملتها للحزب الوطني الديمقراطي وتعطيل جريدته مع بيان اذيع من الاذاعة ملؤه الشتم والاتهام واقدمت على اصدار مرسوم للجبهات في ٩/٢٢/ ١٩٥٤ ومرسوم للمطبوعات واجراء انتخابات جديدة، قاطعها الحزب. الحزب على علم مسبق بثورة ١٩٥٨ كان قادة الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال قد اشتركوا قبلاً في تقديم مذكرات وقعوها بشكل مشترك ولغرض تعضيد الجهود قدم الحزبان طلباً بتأسيس حزب باسم (المؤتمر الوطني) في ٦/١٦/ ١٩٥٦ ولكن لم تجزه وزارة الداخلية ولم توافق على منحه اجازة للعمل العلني مما اضطر الى حوار جميعالقوى الوطنيةعلى مختلف عقائدها ونظرياتها وتوحيدها من جبهة وطنية واسعة وكان قادة الحزب اللولب المحرك لهذه الجبهة ونتيجة لنشاط هذه الجبهة انتظم الضباط بتنظيم انفسهم للقيام بعمل عسكري بعد ما يئست القوى الوطنية من العمل المدني بـ (السلمي) وهنا انبثق تنظيم الضباط الاحرار وكان هذا التنظيم على اتصال دائم مع قيادة الحزب عن طريق قائد التنظيم المرحوم الشهيد عبد الكريم قاسم ولهذا كان الحزب على علم تام بهذا التنظيم وكذلك بساعة قيام ثورة ١٤ تموز واشتراك في مسؤولية الحكم غير ان الظروف الطبيعية لم تستثمر بسبب استقطاب بعض اطراف الجبهة خروجهم على ميثاقهم وتدخل القوى الخارجية ايضاً مما دعا الحزب الى تجميد نشاطه العلني وخلال هذه الفترة حاول قادة الحزب جمع وحدة الكلمة ولكن لم يحصل أي تجاوب من تلك الاطراف وبالتالي حصل انقلاب شباط المشؤوم الذي اطاح بكل ما حققته ثورة الرابع عشر من تموز الخالد. ورغم الظروف القاسية التي مر بها الوطن نتيجة تسلط البعث الفاشي على مقدرات البلد ومع ذلك ظلت قيادة الحزب متماسكة وتقدم المذكرة تلو المذكرة تطالب السلطة الحاكمة بحقوق المواطنين وتشجب التسلط الحزبي اضافة الى معالجة القضايا الاقتصادية الى غير ذلك من القضايا الملحة المتعلقة بمستقبل البلد واستغلال ثرواته وكون الحزب كان قائماً ومتواجداً في الساحة السياسية فوتح بالاشتراك بالحكم من قبل عبد الوهاب الامين الذي كان من قبل عبد الرحمن عارف عنبر انه اشترط شروطاً طالب بتطبيقها والتي تتوافق ومبادئه ولعدم تجاوب رئيس الجمهورية لم يؤلف المذكور الوزارة آنذاك. وفي عام ١٩٦٨ تسلق البعث الفاشي ثانية الى السلطة وفاتح الحزب بالاشتراك بالمسؤولية مع القوى الاخرى ولمعرفة الحزب بسلوكية هذا الحزب الفاشي رفض الاشتراك رغم اشتراك القوى الاخرى والتي اطاح بها الواحدة تلو الاخرى.

والان بعد الاطاحة بالنظام الدكتاتوري الفاشي لا بد للحزب ان يعاود نشاطه من جديد فالمرحلة الراهنة تتطلب اعادة اصدار جريدة (الاهالي) والدعوة لمبادئ الحزب من خلالها وتتطلب من بذل ما يستطيع من جهد من اجل بناء وتعزيز الوحدة الوطنية بالتعاون التام مع القوى الوطنية التي ساهمت بجد في مقاومة الدكتاتورية البغيضة والنضال من اجل بناء عراق ديمقراطي برلماني تعددي موحد ضمن جمهورية مستقلة استقلالاً تاماً ينعم فيها الشعب بكافة قومياته المتآخية بحقوقه مع التأكيد على سيادة القانون واحترام حقوق الانسان.

الموقف من الاحتلال

من حيث المبدأ يعارض الحزب الاحتلال الامريكي واي احتلال آخر رغم انه كان سبباً في سقوط النظام الدكتاتوري ويرى اهمية ان يترك للشعب العراقي ممارسة مسؤوليته من خلال نظام ديمقراطي تعددي فيدرالي دون وصاية من احد.

وكان مجلس الحكم المنحل نقلة هامة في الحياة السياسية حيث ساهم فيه العديد من القوى الوطنية التي ناضلت ضد النظام السابق وهذا يحصل لاول مرة منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ولكن للاسف ساهم البعض ممن لا يمثل الا نفسه كما ان سلبيات لمدة سيطرت على مجلس الحكم تمثلت بالمحاصصة العائلية والطائفية اضافة الى بعض الروائح غير الطيبة من هنا وهناك وعموماً كان المجلس تجربة وطنية هامة افقدتها السلبيات جاذبيتها.

اما موقف الحزب من الحكومة فقد حدد بقدر موقعها من قضايا الشعب الملحة والهامة واهمها القضية الامنية والانتخابات والمشاكل الاقتصادية وتردي الوضع المعاشي بصورة عامة مع استثناءات قليلة ويبدو انها أي الحكومة تمثل نقلة نوعية هامة في الحياة السياسية العراقية حيث تسلمت السيادة رسمياً من قبل سلطة الاحتلال واصبحت تتمتع بسلطات كبيرة رغم استمرار قوات الاحتلال ونفوذها الواضح على السياسة العراقية.

المجلس الوطني نقلة نوعية

وعن راي الحزب في المؤتمر الوطني العراقي والمجلس الوطني المؤقت مثال سلمان العزاوي المدير المسؤول لجريدة الاهالي الناطقة باسم الحزب: لا شك ان المؤتمر الوطني وما يتحقق عنه من انبثاق المجلس الوطني هو ادل محاولة - بعد سقوط النظام السابق- تقترب من الديمقراطية .. ومع ما فيها من سلبيات فهي ظاهرة ايجابية.. ونحن كحزب اوضحنا رأينا المتمثل بأن المؤتمر الوطني يعتبر نقلة نوعية با